الرجولة . . .

للأستاذ عباس أبو شوشه

كلمة جامعة ، ودوحة فارعة ، تتفتح فى كل غصن من أغصانها زهرات يانعة من مكارم الأخلاق وحميد الصفات ، لو توافرت فى أبناء أمة فكان كل فرد فيها رجلا كامل الرجولة ، لضمنت لها السيادة ولسمت إلى الأوج الذى لا تسامتها فيه أخرى .

وهل أدلكم على الرجل الذى لم يهتد اليه "ديوجين" بمصباحه؟ إن من كان قوى الجنان صريح اللسان سليم النفس ، لا يصدر فى رأيه عن هوى ، ولا يخشى فى الحق لومة لائم ، ولا سلطان حاكم ، ولا سطوة طالم ، وكان مثل عبد الرحمن بن عوف حين جبه وفد المتملقين فى حضرة عمر بن الخطاب . فهو رجل .

ومن إذا ائتمنه مؤتمن رعى الأمانة حق رعايتها ولم يفرط فيها ولو كان دون ذلك حز الرقاب ، وتضحية الأهل والأولاد ، وكان كالسموأل بن عاديا حين استودعه أمرؤ القيس دروعه ، وارتهن العداة ابنه ، وخيروه بين قتل الفتى وتسليم الدروع فرضى أن يذبح ابنه على مرأى منه ، وأبى أن يسلم وديعته . فهو رجل .

ومن إذا جاوره مجاور عرف له حقه ، وأمنه بوائقه ، وتفقد حوائجه ، فسد خلته وصان حرمته ، وشاركه مسرته ومواسى مصيبته ، وأمده بماله وأعانه بجاهه ، وكان كأبى حنيفه . فهو رجل .

ومن اذا قربه ذوجاه أو سلطان أخلص له فى العمل ، وبصره بمواطن الزلل ، ومحضه النصح فلا يجامله فى انحراف ، أو يخادعه عن سداد ، ولا يتجر بسلطانه ، أو يتخذ جاهه ذريعة للانتفاع على حسابه : بما لم يبحه له أو يرخص له فيه ، ولم يبع ثقته به وإخلاصه له بعرض يكسبه أو غرض يتوقبه ، وكان مثل "أوروس" حين نزل له "أنطونيو" عن متاعه وسلاحه ليخلصه من حياته ، فكان جوابه :

أتجعل فى الميزان حبى وطاعتى ... وشتى عروض من ثياب وجوهر
وأنت الذى لو بيع بالروح وده ... ومالى سوى روحى تقدمت أشترى
لقد جادلى بالسيف والدرع قيصر ... وجدت بأيام الحياة لقيصر

فهو رجل .

ومن إذا تولى إمرة قوم لم يدخله رضاه فى باطل إذا رضى ، ولم يخرجه غضبه عن حق إذا غضب ، ولم يدعه اقتداره إذا اقتدر إلى تناول ما ليس له ، ولم يستعن على أمره بالوشاة

والمنافقين ، ويتعالى عن هدى الناصحين والمخلصين ، ولم يشترعاه افتقار الناس ، وعزه بذلال الناس ، ولم يطغه الحكم ولم يغره الغرور ، ولم يله ملك يومه عن حساب غده ، وآثر أن يخشن عيشة لينعم من وليهم ويسهر ليله لينام وا ليلهم ، وكان بهم رحيما ، وبدقيق شئونهم عليما ، وانتهج وذلك نهج بن الخطاب أو عمر بن عبد العزيز أو سالك سبيل سليمان بن عبد الملك أو هرون الرشيد . فهل رجل .

ومن إذا صادق صدق ، وكان بصاحبه حفيا ، وأنزله من نفسه منزلة الروح من جسده . يألم لألمه ويشجى بشجنه ويفنى له إذا غدر الزمان ولم يقعد به جبن أو يثنه خور عن أن يفديه بروحه إذا جد الجد أو حزبه أمر واقتدى بعلى بن أبي طالب حين نام فى مضجع الرسول عليه الصلاة والسلام ليضل طالبيه ليلة خرج من مكة مهاجرا . فهو رجل .

ومن إذا استنفر للجهاد فى سبيل أمته وبلاده لم يقعده حب الرئاسة مع الخوالف ، ولم يبال أن يلقى الاعداء فى النفير قائدا معقودا له اللواء ، أو فى الصف جنديا مغمورا كسائر الأجناد ، ورأى أقصى غاية الشرف أن يؤوب جيشه منتصرا ، ويئوب عدوه مدحورا وكان فى ذلك كخالد ابن الوليد . فهو رجل .

ومن إذا أحسن الدهر إليه أو أساء لم تبطره النعماء فيصعر خده للناس وينسى من كان بالفهم فى الموطن الخشن ويغلق دونهم بابا ، أو يجعل بينه وبينهم حجابا . ولم يتخشع من اللاواء فيذل عن كرامته ، أو يخرج عن عزته أو يسلك الدنية فى إقالة عثرته ، فهو رجل .

ومن كان كصاحب على بن ابى طالب الذى وصفه بقوله "كان لى فيما مضى أخ فى الله وكان يعظمه فى عينى صغر الدنيا فى عينه ، وكان خارجا من سلطان بطنه فلا يشتهى ما لا يجد ، ولا يكثر إذا وجد ، وكان أكثر دهره صامتا ، فان قال بذ القائلين ، ونقع غليل السائلين ، وكان ضعيفا مستضعفا ، فان جاء الجد فهو ليث غاب وصل واد ، لايدلى بحجة حتى يأتى قاضيا ، وكان لايلوم أحدا على مايجد العذر فى مثله حتى يسمع اعتذاره ، وكان لايشكو وجعا الا عند برئه ، وكان يقول مايفعل ولا يقول مالا يفعل ، وكان إذا غلب على الكلام لم يغلب على السكوت ، وكان على مايسمع أحرص منه على أن يتكلم ، وكان إذا بدهه أمران ينظر أيهما أقرب الى الهوى فخالفه" . فهو رجل .

فى هذا الصفات وأمثالها تتكون الرجولة . وفى هؤلاء الرجال وأضرابهم تتمثل البطولة ، وعلى هذه المثل العليا فلينشأ الناشئون ، وليعمل العاملون . وفى ذلك فليتنافس المتنافسون لعلنا نخرج للغد جيلا قويا ، ونهيىء للمستقبل شبابا أبيا . يكون للوطن أمينا وفيا ، ولا يجد الخصوم لهم منه وليا . ويكون حقيقا بحب المكانة عظمتها ، وبتحفظ عليها سلفها وما ذلك على الله بعزيز .

(عباس أبو شوشه)